

الصابئة في عقيدتهم وشريعتهم

سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

— 6 —

(سلسلة بين الإسلام والأديان والمبادئ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

وبعد فهذا كتاب (الصابئة في عقيدتهم وشريعتهم) كتبته على قلة المصادر التي حصلت عليها حول هذا المبدأ، وعلى الاختلاف الكثير بين الفقهاء والمفسرين والمؤرخين وعلى التناقض الذي لمستته بين أبناء هذه الطائفة، حيث ناقشت مع جماعة منهم، مما آل الأمر بالنتيجة إلى إسلامهم — والحمد لله — حتى ألف بعضهم كتاباً حول الإسلام، طبعناه في سلسلة (منابع الثقافة الإسلامية) وليس هذا الكتاب إلا بصيص نور حول هذه العقيدة والمعتقدين بها، والمسؤول من الله سبحانه أن يتقبله بقبول حسن وأن ينفع به، وهو الولي الحميد.

كربلاء المقدسة — 82 هـ

محمد

مقدمة

أمر الإسلام غريب، لمن نظر إليه كما ينظر إلى سائر الأديان والمبادئ، وليس بغريب لمن ينظر إليه باعتبار أنه دين أنزل من رب الكون لإصلاح الكون ناطقه وغير ناطقه.

أما الغرابة باعتبار النظرة الأولى، فلأنه لا يشابه ديناً أو مبدءاً، فكل دين أو مبدءاً — سواء — فيه جوانب كثيرة من النقص والخرافة والانعزالية والانطوائية، ولذا يبقى الإنسان حائراً، في أنه كيف خلا الإسلام من كل ذلك، بل بالعكس لا نقص فيه إطلاقاً، وإنما هو كمال مطلق، وسعادة لا يتصور فوقها سعادة، وإصلاح مطلق لا إصلاح فوقه.

ولو ذكر ذاكر أنه يتحدى جميع أصحاب الأديان والمبادئ — بأن يأتوا بمثل الإسلام، أو يأتوا بنقص ولو صغير في الإسلام، أو يأتوا بدين أو مبدءاً لا نواقص وخرافات فيه — لم يكن تحدياً في غير موضعه.

وأما عدم الغرابة بالنسبة إلى النظرة الثانية، فلأنه لو كان الإسلام ناقصاً لكان غريباً، كيف وأنه منزل من السماء إلى الأرض، لإصلاح الأرض طول الخط، ولو كان ناقصاً حينئذ لكان من أغرب الأمور.

ولا أكون متكباً عن الطريق لو قلت أنني منذ أن عرفت حقاً وباطلاً، كنت في صدد التعرف إلى الحق، ولذا قرأت كثيراً، وطالعت كثيراً، وناقشت كثيراً، وتفكرت كثيراً، فلم أجد — فيما وجدت — ديناً أو مبدءاً يتمكن أن يشابه الإسلام ولو في خطوطه العريضة، فكيف في مزاياه وخصوصياته؟ بل للإسلام التقدم عليه، وحيث عرفت ذلك رأيت من الواجب أن أتقدم إلى نشر الإسلام بكل ما أوتيت من قوة وطاقه، ورأيت أن السبيل إلى ذلك إيجابي هو، بكتابة حقائق

الإسلام، ونشرها باللسان وما أشبه، وسلبّي بكتابة نواقص سائر الأديان والمبادئ، ونشرها كذلك متحرّياً في كل ذلك الحق والحقيقة حسب المستطاع، مع الابتعاد عن المستفزات التي هي خليفة بإبعاد الناس عن الحقيقة، جهلاً أو عناداً أو تعصباً، وقد كتبت بهذا الصدد (سلسلة بين الإسلام والمبادئ والأديان) والتي تم فعلاً منها (بين الإسلام ودارون) و(ماذا في كتب النصاري؟) و(موقف الإسلام من الأحزاب المستوردة) و(هؤلاء اليهود) و(وقفة مع الوجودية) وقد خرج إلى عالم النور والانتشار ما عدا الثالث منها، بل ترجم إلى بعض اللغات الأخرى الأربعة المطبوعة، وقد رأيت تلك الكتب من تشجيع الناس، ما لم أكن أظنه، والذي حفّزني إلى الاستمرار في هذه الناحية.

ثم أني قد كنت كثير المناقشة والتتقيب عن حقائق الأديان والمبادئ مع أصحابها، وغير أصحابها، ومع نفسي، ومع الكتب المؤلفة.. وكان من جملة الأديان التي خصصت لها وقتاً (دين الصابئة) فطالعت حوله كثيراً.. وتكلمت مع جملة من الصابئة كثيراً.. وقد هدى الله جماعة منهم إلى الإسلام — والحمد لله رب العالمين — وأذكر من جملتهم الأستاذ المذهب (مانع غانم العيداني) الذي أسلم، وهدى كثيراً من بني قومه إلى الإسلام ولم يكتف بذلك، بل صار داعية إسلامي، يؤلف ويرشد ويناقش وقد كتب أخيراً كتابه القيم (الله والإسلام) الذي طبعته إدارة منابع الثقافة الإسلامية الكربلائية، في عددها (68).

وتفكرت أخيراً أن أكتب كتاباً حول هؤلاء القوم، وأجعله في سلسلة (بين الإسلام وسائر الأديان والمبادئ) لعل الله يهديهم بسببه إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وما ذلك على الله بعزيز. وقد سميت الكتاب (الصابئة في عقيدتهم وشريعتهم) وقد جعلته على نحو (السؤال والجواب) في عرض هذا الدين، لكي يسهل تناوله حتى لمن لا يقوى على الأساليب

الاسترسالية.

كما وابتدأت قبل الشروع في صلب الموضوع، لعرض موجز، من عقيدة الإسلام، لأجل أن يكون الإنسان الذي يريد الابتداء في السير على بصيرة من أمره.

والله المسؤول أن يتقبله بقبول حسن، (ويهدي به) ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويوفقني للإتمام وللزيادة في هذه السلسلة كما وعد بقوله: (لئن شكرتم لأزيدنكم)¹ وهو المستعان.

2 — العقيدة الإسلامية

س: من هو الإسلام؟

ج: الإسلام (عقيدة) و(شريعة).

س: ما هي العقيدة الإسلامية؟

ج: العقيدة الإسلامية تشتمل على أصول وتوابع.

س: ما هي أصول العقيدة؟

ج: هي خمسة:

الأول: (التوحيد) يعني أن الله واحد لا شريك له، وهو الذي خلق ورزق وأحى وأمات وأمطر ومنع، وأغنى وأفقر، وهو الذي له الأسماء الحسنى، فهو عالم، قادر، حي، مريد، مدرك، قديم، أزلي، متكلم، صادق... وليس بمركب، ولا بجسم، ولا بمرئي في الدنيا والآخرة، وليس له محل، وليس محلاً للحوادث، وليس بعاجز.

الثاني: (العدل) يعني أن الله عادل، لا يظلم ربك أحداً ولو بمقدار ذرة، وما يشاهد من

¹ سورة إبراهيم: 7.

الظلم في العالم فإنما هو من الناس، على أنفسهم، أو بعضهم على بعض ... وأما مثل القحط، والمرض وما أشبهه، مما ليس له أسباب من البشر، فهو تأديب للعاصي، أو رفع درجة للمطيع أو غسل للذنوب بالنسبة إلى المذنب.

الثالث: (النبوة) يعني أن الله تعالى أرسل أنبياءً إلى البشر لهدايتهم إلى مصالحهم في الدنيا، وإرشادهم إلى ما يوجب بهم حسن الخاتمة في الدار الآخرة، وكان عدد الأنبياء مائة وأربعين وعشرين ألف نبي، أولهم سيدنا آدم (عليه السلام) وآخرهم محمد (صلى الله عليه وآله) .. وقد كان من هؤلاء الأنبياء (خمسة) هم (أولو العزم) لأنهم أفضل من سائر الأنبياء، هم إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، ويجب الإيمان بهم جميعاً، حتى لو أن أحداً لم يقبل واحداً منهم، كان كمن لم يقبلهم كلهم، كما في القرآن الحكيم: (لا نفرق بين أحد من رسله)².

الرابع: (الإمامة) يعني أن رسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله)، عين من بعده اثني عشر خليفة بأمر الله تعالى، وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر، هم:

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الإمام الحسن بن علي المجتبى (عليه السلام)

الإمام الحسين بن علي الشهيد (عليه السلام)

الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)

الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)

الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)

² سورة البقرة: 285.

6 من 34 صفحة

الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)

الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)

الإمام محمد بن علي النقي (عليه السلام)

الإمام علي بن محمد النقي (عليه السلام)

الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)

الإمام محمد بن الحسن الحجة القائم المهدي (عليه السلام)

وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر هم خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد أدى كل واحد منهم ما كان عليه من الهداية والإرشاد، ومضوا إلى لقاء ربهم، سوى الإمام الثاني عشر، فإنه حي في دار الدنيا بقدرة الله تعالى، وسيظهر في آخر الزمان، ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن تملأ ظلماً وجوراً، وهذا الإمام يجمع جميع البشر تحت لواء واحد، ويكون الدين في ذلك الزمان كله لله تعالى، ويسود العدل، وتزدهر الدنيا، بما تشبه جنة نعيم، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أعوانه وأنصاره.

الخامس: (المعاد) يعني أن الله سبحانه يحشر الخلائق كلهم، ويحييهم بعد الموت، في صعيد واحد، ليجازي كل من أحسن بالجنة والثواب، وكل من أساء بالنار والعقاب، وفي الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلد الأعين، وهم فيها خالدون، وفي النار جميع أنواع العقاب والعذاب، ويأتيهم الموت من كل مكان وما هم بميتين، بل هم في العذاب خالدون.

3 — من توابع العقيدة الإسلامية

س/ ما هي توابع العقيدة الإسلامية؟

ج: من توابع العقيدة الإسلامية:

- 1 — الاعتقاد بأن الأنبياء من آدم (عليه السلام) إلى نبي الإسلام جميعاً، والأئمة الاثني عشر، وبنت النبي فاطمة الزهراء (عليه السلام) معصومون من كل ذنب وخطأ، وأنهم مؤيدون بروح القدس: وأنه يجب اتباعهم وإطاعتهم.
- 2 — الاعتقاد بأن دين الإسلام، ناسخ لسائر الأديان (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)³.
- 3 — الاعتقاد بأن الإنسان إذا مات قامت قيامته، وأن الروح تبقى بعد موت الجسد، إما في النعيم، إن كان من أهل الطاعة والإيمان، وإما في الجحيم إن كان من أهل الكفر والعصيان، والقبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النيران.
- 4 — الاعتقاد بأن القرآن الحكيم هو كتاب الله المنزل من السماء لهداية البشر على رسول الإسلام، وفيه الخطوط العريضة لما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه يحرم الحكم على خلفه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)⁴.
- 5 — الاعتقاد بأن محمداً (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، ومن أدعى النبوة فهو كافر كذاب.
- 6 — الاعتقاد بأن الإسلام دين كامل، وفيه ما يحتاج إليه البشر للسعادة في الدارين وأن كل قانون يخالف الإسلام فهو ضلال وانحراف عن المنهج المستقيم.

³ سورة آل عمران: 85.

⁴ سورة المائدة: 44.

4 — الشريعة الإسلامية

س: ما هي الشريعة الإسلامية؟

ج: الشريعة الإسلامية، عبارة عن الأعمال والأخلاق المرتبطة بالحواس الخمس: الأذن، والعين، واللسان، والأنف، واللمس، والمرتبطة بالحواس الباطنة، من الأخلاق الفاضلة أو الرديئة .. من غير تفاوت بين الأمور الفردية، أو الاجتماعية من: العبادات، والمعاملات، والأحكام، والأخلاق، والأنظمة العامة، فالعبادات مثل: الطهارة، والصلاة، والصوم، والاعتكاف، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

والمعاملات: مثل البيع، والإجازة، والرهن، والمزارعة، والمساقاة، والمضاربة، والشركة، والهبة، والعارية، ونحوها..

والأحكام: مثل القضاء، والشهادات، والصيد، والذباحة، وأحكام الأطعمة والأشربة، والنكاح والطلاق، والإرث، والقصاص، والديات، وأحكام الأرضين، ونحوها...

كما أن من الأحكام، حرمة المحرمات، كالزنا، والربا، والسرقة، واللواط، والاحتكار، والغصب، والكذب، والغناء، والخيانة، والرشوة، وشهادة الزور، والحكم بغير الحق، والسحق، والاستمناء، والسفور، والخمر، ونحوها.

والأخلاق تنقسم إلى قسمين:

1 — الأخلاق الفاضلة التي أمر بها الإسلام — وجوباً أو استحباباً — كالصدق والأمانة والغيرة والوفاء والسخاء والنشاط والتعاون على الخير وحسن الجوار وبر الوالدين وصلة الرحم

والاكتساب لأجل الرزق والعلم وما أشبهه.

2 — الأخلاق الرذيلة، التي نهى عنها الإسلام تحريماً، أو تنزيهاً، كالبطالة، والكسالة، واللهو، وحب الظهور، والتكلم بما لا يعني، والضحك الكثير، والإيذاء، وإهانة الناس، والانعزالية ونحوها.

ومن توابع هذا الباب (الآداب الإسلامية) كآداب الأكل والشرب، والنكاح واللباس والمنزل واليقظة والنام والتجارة والاكتساب والصداقة والمعاشرة وما أشبه ذلك.

والأنظمة العامة: هي الأنظمة المربوطة بالسياسة، والاقتصاد والزراعة، والتجارة، والتربية، والأخلاق، والثقافة، والاجتماع، وما أشبه ذلك من الأمور المربوطة بالدولة والاجتماع.

وبالجملة فالإسلام دين حي أبدى يعطي حاجات الإنسان، وقد اشتمل كتاب واحد من كتب الفقه (جواهر الكلام) إلى ما يقارب المائتين والستين ألف قانون في مختلف أبواب العبادات والمعاملات والأحكام والأنظمة ونحوها.. وكل شيء يحتاج إليه البشر مذكور في الكتاب والسنة، أما بصورة خاصة أو بصورة قاعدة كلية، تنطبق على الأمور الشخصية، وهذا سر خلود الإسلام إلى الأبد.

5 — الصابئة في اللغة

يقال: (صبأ يصبأ صبأً وصبئاً) إذا مال من دين إلى دين، قال في (المصباح المنير): (صبأ من دين إلى دين يصبأ مهموز بفتحتين، خرج فهو صابئي ثم جعل هذا اللقب على طائفة من الكفار يقال أنها تعبد الكوكب في الباطن، وتنسب إلى النصرانية في الظاهر، وهم الصابئة

والصابئون، ويدّعون أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم (عليه السلام)).

وقال في (لسان العرب): (الصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح (عليه السلام)

بكذبهم، وفي (الصاح): جنس من أهل الكتاب وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار).

وقال في (الموسوعة العربية الميسرة): (صابئة: اللفظ آرامية الأصل، تل على التطهير

والتعميد وتطلق على فرقتين:

1 — أتباع يوحنا الهمدان.

2 — صابئة حران الذين عاشوا زماناً في كنف الإسلام وقال حسينيوس الألماني: (إن

كلمة صابئين من صباؤن العبرانية أُرجز السماء دلالة على أنهم يعبدون الكواكب) وقال نولدي:

(إن كلمة صابئة من (صب الماء) إشارة إلى اعتمادهم بالماء، أما لفظة (صبّه) التي تطلق عليهم

الآن في العراق فهو مخفّف من الأصل.

6 — الصابئة في القرآن الحكيم

ذكر الصابئة في القرآن الحكيم، في ثلاثة مواضع:

1 — في سورة البقرة، وهي السورة الثانية في القرآن الحكيم، وفي الآية (62) فقد قال

سبحانه: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل

صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

2 — في سورة المائدة، وهي السورة الخامسة من القرآن الحكيم في الآية (69) فقد قال

سبحانه: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل

صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

3 — في سورة الحج وهي السورة الثانية والعشرون من القرآن الحكيم، في الآية (17) فقد قال سبحانه: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين النصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد).

ومن هذه الآيات الكريمات يستفاد: أن الصابئين ليسوا من اليهود والنصارى والمجوس ولا يستفاد أنهم في قبال المشرك المطلق فإنهم في الحقيقة مشركون⁵ كما أن اليهود والنصارى مشركون حقيقة، لكنهم إذا قبلوا بـ(المشرك) أريد بالمشرك غيرهم، كما قال سبحانه في اليهود والنصارى: (تعالى الله عما يشركون)⁶.

إذن: لا دلالة في الآية الثالثة على أنهم ليسوا بمشركين، وإنا نذكر هنا هذه الجملة، لأننا ابتلينا بقصة (زوجات الصابئين) بعد أن أسلم أزواجهم، فهل تبقى العلاقة النكاحية بعد إسلام الأزواج أم لا؟ فإن المشهور بين علمائنا أن نكاح المشرك ابتداءً واستمراراً غير جائز، ولذا فالإلزام أن يؤثر الزوج إذا هداه الله للإسلام على زوجته أن تسلم هي بدورها، وفي الآية الثانية نكتة لطيفة في رفع (الصابئون) ذكرها علماء البلاغة، وهي أن قطع (الصابئين) عما قبله للإلفات، وأنه إذا أسلم هؤلاء، مع ما هم فيه من البعد عن الدين — في حالتهم الصابئية — فإن لهم ما لغيرهم من المؤمنين، وهذه النكتة هي التي أوجبت (الاستئناف) أو (العطف على المحل) على اصطلاح أهل العربية.

7 — أقسام الصابئة

من الطبيعي أن تتسرب التجزئة إلى أصحاب المبادئ والأديان فإن من غزيرة البشر،

⁵ نعم إذا قوبل بالمشرك المطلق يراد به غيره.

⁶ سورة النمل: 63.

الاختلاف في المأكل والمشرب، والمسكن، والملبس، والمركب، و... والأفكار والاتجاهات، وما إلى ذلك. وقد أصيب الصابئة بهذا الاختلاف، فنفرقوا فرقاً كثيرة، إلا أن المعروف من فرقهم الآن، اثنان:

- 1 — صابئة (البطائح) جمع بطيحة، وهي المياه الواقعة التي توقفت من دجلة في الأراضي الجنوبية من العراق، وإضافة الصابئة إلى البطائح، لأجل سكون كثير منهم في هذه الأماكن.
- 2 — الصابئة (الحرانية) نسبة إلى حران، وهي مدينة قديمة ببلاد ما بين النهرين يقع مكانها الآن في جنوب شرق تركيا الآسيوية.

لكن المشتهر: أن هذين القسمين مختلفان في العقيدة، ويذهب جماعة إلى أن القسم الأول هم الأصل في هذا المذهب وأن القسم الثاني، هم الذين اختفوا تحت اسم (الصابئي) لما توعدهم (المأمون العباسي) بأنهم إن لم يأمنوا، أو يدخلوا في إحدى أديان أهل الكتاب، أراق دماءهم، فاضطروا أن يقولوا: إنهم المعنيون بـ(الصابئين) في القرآن الحكيم، ليأمنوا غائلة (المأمون)، وإلا فهم على دين آخر، ولا ربط لهم بدين (الصابئة) ولا بأديان أهل الكتاب.

وقسم الصابئين بعض أرباب الكتب إلى أقسام أربعة، وهم:

1 — أصحاب الروحانيات.

2 — أصحاب الهياكل.

3 — أصحاب الأشناس.

4 — الحلوية.

وحيث أنه يترتب على معرفة هذه الأقسام أمر مهم آخر أعرضنا عن ذكر أقوالهم وآرائهم

صفحة.

8 — تناقص عدد الصابئة لصعوبة مبدأهم

الصابئة غالباً يسكنون عند الأنهر، لأن طقوسهم الدينية تحتم عليهم الاحتياج إلى الماء الجاري والغالب من الصابئة في العراق سكناهم على ضفاف دجلة والفرات وقد سمح لهم أخيراً بعض علمائهم السكن في المدن والاستفادة من مياه الحنفيات بدل الأنهر، لاتصال الحنفية بالنهر أيضاً، وكان ذلك التجويز تحت ضغط حاجات العصر الملحة التي أخرجت الناس من الحياة البدائية إلى الحياة الحضارية.

وقد كانت قبائل الصابئة وأعدادهم كثيرة في الأزمنة القديمة، حتى أن في البصرة وحدها، حسب بعض الإحصاءات كان زهاء مائة ألف، قبل ثلاثة قرون تقريباً، لكن شرائط التحضر الجديد، وشدة طقوسهم الدينية، وخفاء مبادئهم، كانت من العوامل الأساسية لنقص عددهم، حتى وصل عددهم في جميع ألوية العراق إلى أقل من سبعة آلاف، هذا حسب إحصاء الحكومة قبل عشرين سنة، وقد يحتمل أن يكون العدد في الحاضر أقل من هذا المقدار بكثير.

وقد حدثني أحد الصابئة الذين أسلموا بأن ابن عم له أصبح زنديقاً، لا يؤمن بشيء، قال، وسألت عن السبب؟ فقال: (كنت شاباً مدرسياً، وفي ذات يوم أضاف والدي بعض العوائل الصائبة مع جمع آخر، ورأيت في تلك الضيافة ما كان صدفة لي بالنسبة إلى أفكاري التي تعلمتها في المدارس، من استواء الناس، كما هي الفكرة الإسلامية القائلة: بأن الناس سواسية كأسنان المشط — وتلك الصدفة التي حدثت لي كانت من جراء آداب الأكل، فقد رأيت أن المائدة وزعت إلى ستة أقسام، لكل فئة من الضيوف قسم خاص ليس لفئة أخرى الاشتراك معها، ولما سألت السبب؟ قالوا أن كل طبقة دنيا لا يحق لها أن تشارك طبقة عليا، لأنها نجسة بالنسبة

إلى الطبة العلى ولما سألت سبب النجاسة؟ لم يكن لهم جواب إلا التقلد والعاءة، وأنه مقتضى الدين... قال: وقء كان هذا سبب براعتى لا من الصابئة وءءها، بل من كل ءن).

وآء آكى لى هذا الصابئى المستسلم قصة ابن عمه قلت له: اءعه إلى الإسلام وقل له أن الإسلام ىرى أنه لا فضل لأء على أء إلا بالإمان والفضيلة، كما قال سبحانه: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)⁷ ثم قلت: إن الإمام الرضا (عله السلام) كان إذا أراد الأكل ، وهو إمام شرعى، وولى عهد أكبر إمبراطورية فى العالم ذلك الوم، جمع جمىع من آضر، آتى العء والسائس فإذا قىل له فى ذلك؟ كان ىقول: الرب واءء، والأب واءء، والأم واءءة، والآزاء بالأعمال).

وأءر بهذه المناسبة قصة مشابهة، سببت ءآول أء المسآآىىن فى الإسلام، وقء كان وافءاً من قبل البرىطانىىن إلى الهءء للاستطلاع، وأترك زمام الكلام له لىءءكم بنفسه، قال: (ذهب إلى إءءى القرى للاستطلاع فى مهمتى، فورءء على أء المسلمىن الأثرىاء، فرأىء من النظافة فى منزله وأآائه ما بهرنى، ولما سألت عن السبب؟ قال: لأن نبى الإسلام قال: (النظافة من الإمان) كما رأىء من آسن آلقه الشىء الكآثر، ولما سألت عن السبب؟ قال: لأن نبى الإسلام آء على آسن الآلق آتى وءء فى أآلاق نفس النبى (صلى الله عله وآله) الذى هو أسوة لنا معاشر المسلمىن (إنك لعلى آلق عظمى)⁸ قال: ثم رأىء منه آسن الضىافة، وحرارة الوء، ولما رأى آعآبى من ذلك، قال: إن نبى الإسلام هو الذى أمر بذلك بالنسبة إلى الضىف، آتى اشآهر على الألسن: (أكرم الضىف ولو كان كافراً)⁹ قال: فأآببب الإسلام آباً آماً،

⁷ سورة الآآرات: 13.

⁸ سورة القلم: 4.

⁹ آآار الأنوار: آ 63 ص 370.

وحدثتني نفسي بالدخول فيه. وبعد ما خرجت من دار المسلم، اتفق أن زرت أحد الهندوكيين، فرأيت الأمر عكس ذلك تماماً، ومما صدمتني جداً أنني طلبت منه الماء، فجاء إليّ بجرّة فيها ماء فشربت، ثم لم أخطو خطوات، حتى سمعت صوت كسر الجرة، فسألت عن السبب؟ لكن المضيف أبي، وبعد الإلحاح أعلمني بأن دينهم يحتم عليهم كسر الجرة، أو ترك الإناء الذي استعمله رجل من غير ملتهم، لأنه يتنجس بنجاسة غير قابلة للتطهير، وبذلك تركز الإسلام في ذهني أكثر فأكثر، وأخيراً اهتديت إلى الإسلام.

وبصدد صعوبة مبدأ الصابئة ننقل القصتين التاليتين:

الأولى: ما حكاها أحد الصابئة: قال لقد أُصبت منذ شبابي بـ(الروماتيزم) من جرّاء إجراء بعض الرسوم الدينية التي تحتم الجلوس في الماء لمدة طويلة، فقد فعلت ذلك والوقت كان شتاءً وطالت مدة الجلوس في النهر ما يقارب الثلاث ساعات، ومنذ ذلك الحين شعرت بألم في رجلي، لم يفارقني إلى الآن وبعد مرور ما يقارب الثلاثين سنة، ولم تنفع الأدوية والعقاقير لإرجاع الصحة لي.

والثانية: ما ينقلها الحسني في كتابه، قال: كنت في عام (1922) تلميذاً في دار المعلمين ببغداد، وكان في الدار المذكورة تلميذان صابئيان، أحدهما من أهل الناصرية يسمى (مسلم حمد) والآخر من أهل العمارة يسمى (غضبان رومي) وفي خريف تلك السنة أصيب مسلم بالتهاب الزائدة الدودية فأجريت له عملية مستعجلة، واستُدعي أهله إلى بغداد، ليكونوا بالقرب من ولدهم، وظن هؤلاء أن العملية ستؤدي إلى وفاة الولد حتماً. بعد خمسة أيام طلبت أمه من السلطات الصحية أن تسمح لها بأخذ ولدها، لتجري عليه الرسوم والطقوس الدينية، قبل أن تزهرق روحه فيموت كافراً، فلم ترَ السلطات المختصة مانعاً من ذلك فسمحت لها بأخذ المريض المحتضر،

ولكن ماذا عملت به أمه؟ هذا سؤال غريب! وأغرب منه جوابه!

فقد أخذت الوالدة ولدها إلى شاطئ دجلة ورفع أهله ورجال دينه الأربطة التي بها جروح الولد وبدأوا يصبّون الماء على تلك القروح والولد يصيح ويستغيث لكنه لم يجد من يشفق عليه، وهكذا غسل وكفّن وأُعيد إلى فراشه، في انتظار زهوق روحه، ومرّت أربع ساعات والروح لم تزهد، فتقدم أحد أساتذتنا إلى سرير المحتضر، ودسّ آلة الترمومتر تحت إبطه فلاحظ أن درجة الحرارة لا تنذر بالخطر، فأخبر الأطباء بذلك فبادروا إلى تضميد جروح التلميذ من جديد وكانت النتيجة أنه أبلى من مرضه بعد بضعة أيام، وأشترك في امتحان نصف السنة بنجاح وهو ما يزال يدرس في المدارس الحكومية، في لواء (المنتفق) والله في خلقه شؤون.

وفي ص 21 من المجلد الثاني من مجلة (اليقين البغدادية) الصادرة في عام 1362هـ - مرض رجل اسمه (عزّت) فغسل وكفّن ثم برئ، وهكذا عمل ثلاث مرات بمريض فيشرف على اللحد فيشق الكفن وهو لا يزال حيّ يرزق.

أقول: وما أبعد بين مثل هذا وبين ما ورد عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) حيث أنه قيل له: إن فلاناً أصابته جنابة وكان مريضاً، فغسل، ثم مات، فقال (صلى الله عليه وآله): (قتلوه قتلهم الله، ألا يَمُوه)¹⁰ فدعا (صلى الله عليه وآله) على من غسله حيث أنهم سببوا القتل، بتغسيل المريض غسل الجنابة، والحال أن الإسلام جعل التيمم بدل الغسل، لأنه ليس في دين الإسلام حرج وعسر وضرر، كما ورد في الآيات والأخبار.

¹⁰ الكافي: ج 3، ص 68.

9 — عدد الصابئة وقبائلهم

للصابئة عدد قليل في العراق على ضفاف الفرات ودجلة، وفي إيران على ضفاف نهر كارون وعدد ضئيل جداً في بعض البلدان الأخرى، وإليك عدد قبائلهم والبلدان التي يقطنوها في العراق.

المنذوبة، العمارة، الخميسية، المسيعيدة، الحفاية، البوكلش (الكلحاء)، الجحيلية، فرنة، مدينة، شرس، السودنية، المجر الكبير، ، البوزهرون، البنكانية، الكيالين، البصرة وضواحيها، (البوسيتي، سوق الشيوخ)، (البوغران، سوق الشيوخ)، (السيفية، سوق الشيوخ)، البريحية، الجبايش، الدهيسية، الناصرية.

وهناك قبائل أخرى، لكن ما ذكرناها هي القبائل المعروفة.

أما عددهم حسب إحصاء الحكومة قبل عشرين سنة حسب التوزيع على الأولوية (بغداد 895). (البصرة 1133)، (حلة 22) (الديوانية 123)، (ناصرية 791)، (العمارة 211)، (ديالى 88)، (الكوت 61)، (موصل 88)، (كركوك 31). والذكور من هؤلاء المذكورين (2239)، والإناث (3119)، والمجموع (6368).

كما أن هناك أعداد ضئيلة في بعض الأولوية الأخرى، لا يتجاوزن مائة وثلاثين، وإذا لاحظنا أن قسماً من هؤلاء قد أسلموا وقسماً قد ماتوا، وقسماً قد ولدوا من جديد في خلال هذه العشرين سنة عرفنا العدد التقريبي لهم في الحال الحاضر.

وحيث أن دين الصابئة قبلي لا تبشير فيه، فأغلب الظن أنهم يتناقصون إلى حد الاضمحلال إن قريباً أو بعيداً إلا أن يحدث فيهم تطور جديد.

وإنني أرى أن من الضروري، إيجاد حملة تبشير فيهم، لإدخالهم في الإسلام ونجاتهم من

الصعوبة التي يلقونها في دينهم بالنسبة إلى المقدسين منهم والفراغ العقائدي الذي يعانيه المتجددون منهم، هذا ما يلاقونه في دار الدنيا، أما الدار الآخرة، فقد قال سبحانه: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)¹¹.

10 — مظهر الصابئة

صابئة العراق، كما يعلمه المُعاشِر لهم والمُطَّلِع على أحوالهم يمتازون:

1 — بالمظهر — في الغالب — بإسبال شعر الرأس واللحي، خصوصاً في علمائهم والمقدسين منهم، وأن كانت الحضارة الغربية جرفت بشبابهم إلى تغيير المظهر، مما يشكو من ذلك علماءهم والمتدينون منهم.

2 — بالصناعة، فهم غالباً يتعاطون صنع الحلي والحلل وعمل الصياغة وكثير منهم يقطنون بغداد وبعض الألوية الأخرى.

3 — بالجهات المشتركة في التدين، كاستقبال نجم القطب الشمالي في كثير من مراسيمهم الدينية، واحترام النجوم بصورة عامة وبالأخص الكواكب السيارة وكمراسم خاصة بالنسبة إلى الزواج، والأعياد، وما أشبه.

4 — اللغة، فإن لهم لغة خاصة، هي (المندائية) الشبيهة بالسريانية.

5 — بالتكتم الشديد لدينهم، حتى أني سألت عدة من الصابئة، عن مبادئهم لم يكونوا يعرفون منها إلا القليل، أو أقل من القليل، وقال لي أحدهم: أعرف من ديني أنه لما جرت لي مراسيم التعميد، قال لي العالم: يلزم عليك أن تحفظ اسمك ورسمك، ثم قرر لي اسماً ورسماً...

¹¹ سورة آل عمران: 85.

ثم ذكر لي هذين.

وهذا التكتّم أوجب تدرّجهم إلى التناقص في العدد، فإن الإنسان له غريزة حب الاستطلاع، خاصة عن دينه، فإذا لم تشبع هذه الغريزة من مبادئه التي يؤمن بها لا بد وأن يلتبس بمبادئ أخرى، فإن جوع الذهن مثل جوع البطن، فكما أنه إذا لم يجد الجائع طعام نفسه التمس الشبع من طعام الآخرين، كذلك الجائع إلى المعرفة، وقد كان من الممكن حيث لا تنتشر المعرفة في الأوساط، أن تبقى فئة، بطابعهم الموروث، أما والمعرفة منتشرة ومختلف الأديان والمبادئ تعرض ما عندها في كافة الأوساط، فلا يمكن الانطواء على السر المجهول، ولذا أخذ شباب الصابئة يتهافنون إلى الحضارة الحديثة، ضاربين مبادئهم عرض الحائط حتى أن بعض المتدينين منهم كان يخشى ألا يمر زمان إلا ويكون الصابئة خبراً بعد عين.

لكن دون إظهار الدين تقف مشكلتان:

الأول: كون التكتّم من واجبات دينهم، فكيف يخالفون الدين بإظهاره إذاً فالإظهار في نظرهم — لأجل الإبقاء على الدين — من قبيل الفرار من المطر إلى الميزاب..

الثاني: إن مبادئهم ليست حية قابلة للبقاء، فإن ظهرت كانت حرة بالفشل خصوصاً في مثل دنيا اليوم الصاخبة التي تعرض كل يوم طارفاً وجديداً.

6 — بالتطهير بالماء، فقد حتمت مبادئهم التطهر بالماء، حداً يوجب العسر والحرّج وإذا

رأى الإنسان هذا التشدد من هؤلاء حول التطهر، ورأى تلك اللامبالاة من آخرين، عرف شاهداً

آخر لكون الإسلام دين العدل والوسط، كما قال سبحانه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)¹².

7 — بالهدوء، فإن الطابع العام للصابئة الملتزمين بمبادئهم، الهدوء والتزام جانب الصفح، والسكون، فهم — كما رأيت جماعة منهم — وحدثني آخرون ممن كانوا يجاورهم، هادئي النفوس، قليلو الشر، لكن يبقى سؤال، وهو أنه لعل هذه الحالة من جراء غربتهم بالنسبة إلى أهل البلاد وقلة عددهم كما هو كذلك بالنسبة إلى كل من يحس بضعفه، لا أن ذلك من مبادئ دينهم.

11 — كتب الصابئة

غالب كتب الصابئة باللغة (المندائية) التي يزعم أصحابها أنها أنزلت على آدم (عليه السلام)، وهي مخطوطة محفوظة عند علمائهم، لا يبيحونها لأحد، إلا لتلاميذهم الذين يرونهم أهلاً لذلك، وقد كنت أنا بالذات متشوقاً إلى الإطلاع على كتبهم، وسألت جماعة منهم عن ذلك، لكنني لم أظفر ببغييتي، وأخيراً عرفت أن بعض كتبهم طبعت، وها نحن نذكر أسماء جملة من كتبهم، من كتاب (الحسنى)

1 — كتاب (الكنز) ويعتقدون أنه صحف آدم (عليه السلام)، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة مطبوعة منه، رقم مطبوعات 47620 / 4766.

2 — كتاب ادراشادهين، ويعتقدون أنه أوحى إلى يحيى بن زكريا (عليه السلام)

3 — كتاب القلست.

4 — كتاب سورات نشماتا، ويعتقدون أنه أنزل على آدم أبي البشر (عليه السلام) وأنه

¹² سورة البقرة: 143.

أساس دين الصابئة، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة منه باللغة المندائية برقم (مخطوطات: 1896).

5 — كتاب الديونان، وهو كتاب ضخمة، ومن أنفس كتب الصابئة.

6 — كتاب اسفرملواشي، وقد نشرت ترجمة له بالإنكليزية.

7 — كتاب الاينائي، ومنه نسخة في خزانة المتحف العراقي برقم (مخطوطات: 2087).

8 — كتاب فجاهاز هيفل زيوا، وقد نشر هذا الكتاب بنصه المندائي، في باريس.

9 — تفسير بفره.

10 — كتب أخرى مثل كتاب (الشروح) وكتاب (ترسي ألفي شيار) وكتاب (الانتي عشر

ألف سؤال) وكتاب (كداواتدفياتا).

ولو وجد من يتبرع بحملة لجمع هذه الكتب وترجمتها إلى اللغة العربية حتى يطلع قراء

هذه البلاد على حقيقة هذا الدين مبسوطاً، لكان خدمة كبرى بالنسبة إلى نفس الصابئة لهدايتهم

إلى الإسلام، إذا اطلعوا على ما في كتبهم وقاسوها بالنسبة إلى الحقائق الإسلامية، وبالنسبة إلى

المسلمين، والله المستعان.

12 — المبدأ والمعاد عند الصابئة

قال الشهرستاني يصف صابئة الحرائية: (هم جماعة من الصابئة قالوا: الصانع المعبود

واحد كثير، أما الواحد ففي الذات والأول والأحد والأزل، وأما الكثير فلأنه يتكثر بالأشخاص،

في رأي العين، وهي المدبرات السبع والأشخاص الآدمية الخيرة، العالمة الفاضلة، كأنه يظهر

بها ويشخص بأشخاصها، ولا تبطل وحدته في ذاته، وقالوا: هو أبداع الفلك، وجميع ما فيه من

الأجرام والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم، وهم الآباء، والعناصر أمهات، والمركبات مواليد، والآباء أحياء ناطقون، يؤدون الآثار إلى العناصر، فتقبلها العناصر في أرحامها فيحصل من ذلك المواليد، ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوفها دون تحررها ومن مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الإله به في العالم.

ثم أن طبيعة الكل تحدث في كل إقليم من الأقاليم المسكونة على رأس كل ستة وثلاثين ألف سنة، وأربعمائة وخمس وعشرين سنة، زوجين من كل نوع من أجناس الحيوانات ذكراً وأنثى من الإنسان وغيره، فيبقى ذلك النوع تلك المدة، ثم إذا انقضى الدور بتمامه انقضت الأنواع لنسلها، وتوالدها فيبتدأ دور آخر ويحدث قرن آخر من الإنسان والحيوان والنبات وكذلك أبد الدهر.

قالوا: وهذه هي القيامة الموعودة على لسان الأنبياء، وإلا فلا دار سوى هذه الدار (وما يهلكنا إلا الدهر)¹³ ولا يقولون بإحياء الموتى وبعث من في القبور ... وإنما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم، فإن التناسخ هو أن تتكرر الأكوار، والأدوار إلى ما لا نهاية، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول والثواب والعقاب في هذه الدار، لا في دار أخرى، لا عمل فيها، والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفتنا في الأدوار الماضية.

وقال الحسن، بعد ذكره اعتقادهم بالإله: (ويلي الإله في المنزل (360) شخصاً، خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، إلا أنهم ليسوا بآلهة، ولا هم في عداد القديسين، لأنهم لم يكونوا بشراً مثلهم، ولا يعدون من الملائكة، وإن كانوا صنفاً منهم لأن بعض هؤلاء يدرس أعمال الخلق، (كمارى اد ربوتا) و(هيبيل زيوا) وهم يعلمون كل شيء ويعرفون الغيب، ولكل منهم مملكة في

¹³ سورة الجاثية: 24.

عالم الأنوار (إلى حى دهنورا).

أما أصل وجودهم فإنهم ليسوا بمخلوقين، كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا وتزوجوا بنساء من صنفهم، وأصبح لهم أولاد وبنات ولكن نسلهم هذا ليس ثمرة زواجهم، لأن الواحد منهم كان يلفظ كلمة، فتحمل امرأته فوراً، وتضع واحداً منهم.

إن هؤلاء الـ(360) شخصاً يعبدون الإله ويوحدونه وجميعهم تحت أمره (مادى اوربونا) هو أول زعمائهم وأعلامهم مقاماً، (ويليور شبشلاحم ربا) و(منداء هي) و(هيل زيو) و(سام زيو) و(هومشبه) صاحب يوم الأحد، و(سميات هيى) و(ماهزيل مالالا) والأخيران من النساء، وثانيهما اسم الشجرة التي ترضع الأطفال في عالم الفردوس (الجردون هورا) ومنهم أيضاً (أونار — راها) و(ابتاهيل زهريل) و(يحيى يوحنا) و(بهرام ربا) وهم يعتقدون بالأرواح الخبيثة ويسمونها (مولوحون) ويقولون أنها مختلفة الأديان... ومن هذه الأرواح ما هو موكل بعذاب النفوس في (المواطئ) ومنها ما هو مغرى بتجربة البشر، واستدراجهم إلى المعصية، ومنها ما به إلحاق الأذى بالناس، فهم بمنزلة الجن، عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى) ثم أنهم ذكروا تعذيب العصاة في الدار الثانية، وذكروا من جملة المحرمات التي لها عذاب:

1 — الكذب، وعذابه أن تملأ كفاه ناراً ويؤمر أن ينفخها بشفتيه أبداً فتصير كفاه بذلك

كالجمر.

2 — الضغينة، وعذابها أن يربط عنقه بسلسلة من السقف فيبقى واقفاً!!

3 — التجسس والنميمة والسعاية بالناس إلى الجائرين، وعذابهم لباس المجرم لباساً من

تلج.

4 — الزنا، وعذابه أن يكون واحد من زفيره وشهيقه، بارداً جداً، والآخر حاراً جداً يتأذى

بذلك أبدأ.

5 — السرقة، وعذابها أن يوضع في تتور من نار بالغ الحرارة.

6 — الخيانة للشريك، وعذابها أن يوضع بين صخرتين عظيمتين تضغطان عليه ضغطاً شديداً إلى غيرها من أنواع المحرمات وأقسام العذاب عندهم، ومن الطبيعي أن القول بذلك لا ينافي في القول بالتناسخ، إذ العقاب بعد انتهاء دور التناسخ.

13 — الأنبياء عند الصابئة

الصابئة يعتقدون أنهم على دين آدم (عليه السلام).

لكن تقادم عهد هذا النبي أوجب دخول بعض الزيف في الدين، فجاء يحيى النبي (عليه السلام) ليخلص الدين من هذا الزيف، وهو نبي خاص بهم، فدينهم قبلي لا تبشيري. وقد يقال: إن تسميتهم بالصابئة اشتقاق من (الصبي) لأنهم اتبعوا (يحيى) وقد قال سبحانه في حقه: (وآتيناه الحكم صبياً)¹⁴.

وهم يعتقدون بالمسيح (عليه السلام)، أما أنهم هل يعتقدون بسائر الأنبياء؟ فلا شك أنهم يعتقدون بجملة منهم، لكن لا كاعتقادنا نحن المسلمين.

وقد سألت أحد الصابئة عن اعتقاده بالأنبياء، فذكر ما يشبه مقالة المسيحيين، بين غلو إلى مصاف الإله وانحطاط إلى مصاف البشر العصاة، ولعل ما اشتهر على ألسنة بعض الناس من أنهم قسم من النصارى يرجع سببه إلى اعتقادهم بالمسيح (عليه السلام) أما يحيى الذي يعتقدون به، فهو مختلف في كثير من الخصوصيات مع النبي يحيى (عليه السلام) الذي نعتقد به نحن

¹⁴ سورة مريم: 12.

المسلمين مثل الاختلاف الذي بيننا وبين النصارى حول المسيح (عليه السلام).

وقد اختلفت هذه الأمم الثلاث في مدفن يحيى، فالمسلمون يرون أن رأسه مدفون في الجامع الأموي بدمشق، حيث مزاره مشهور إلى الآن، ويقول بعض المؤرخين: إنهم لما أرادوا بناء هذا المحل وجدوا سफطاً صغيراً فيه رأس إنسان كأنه مات الساعة، وقد كتب على السفط: (رأس يحيى بن زكريا). أما الجثة الشريفة فغير معلوم حالها، وأين دفنت؟ والصابئون يرون أن مدفن يحيى (عليه السلام) في (شوشتر) في إيران.

والمسيحيون يرون أن مدفنه في كنيسة المسقوف في قمة جبل الزيتون في القدس، أو في جوار نابلس بفلسطين.

وقد ذكر مؤرخو المسلمين، وجماعة غيرهم أن يحيى (عليه السلام) استشهد على يدي ملك جلد، زنا ببعض محارمه، فنهاه يحيى، لكنه لم ينته ثم أغرته المرأة بقتل النبي، فقتله نزولاً على رغبة بغيته، وانتقم الله من بني إسرائيل بتسليط ملك عليهم، فقتل منهم مقتله عظيمة، انتقاماً لسفك دم يحيى المعصوم المظلوم، حيث لم يساعده ضد ذلك السفاك الزاني.

كما انتقم الله سبحانه من أهل الكوفة، بتسليط المختار عليهم، فقتل منهم مقتله عظيمة، حيث جاءوا يحاربون الإمام الحسين (عليه السلام)، وكما انتقم الله من أهل المدينة الذين لم يساعدوا الحسين (عليه السلام) ضد الطاغية يزيد، بتسليط جيش مسرف بن عقبة عليهم.

14 — علماء الصابئة

للعالم الديني عند الصابئة شروط قاسية أوجبت تناقص عدد العلماء، وتبعاً لهذا التناقص، يبتعد الصابئة يوماً بعد يوم عن دينهم، لعدم وجود المرشد الكافي في أوساطهم — أما الشروط

فهي أن:

1 — يكون سليم الجسم من العيوب.

2— صحيح الحواس.

3 — من عائلة خاصة.

وبعد هذه الشروط يأتي دور شروط قاسية أخرى بالنسبة إلى رجل الدين مثل:

1 — يمنع رجل الدين من ممارسة العمل الديني إذا كانت زوجته حائضاً أو نفساء، أو

طرح، إلى أن تنتهي العدة، وتتعمّد.

2 — أن لا يأكل من دار غيره إلا إذا كان عمّد صاحب الدار بيديه.

3 — أن لا يأكل من يد امرأة حائض أو نفساء أو معمّدة من قبل غيره.

4 — لرجل الدين ذبح خاص فلا يجوز له أن يتناول من اللحم إلا ما ذبح على طريقة

مخصوصة عسيرة.

5 — وإذا أذنب رجل الدين بعض الذنوب فعليه أن يتعمّد بالماء الجاري في حضور

جماعة، ثلاثمائة وستين مرة، والتعميد عمل شاق له آداب ورسوم.

إلى غيرها من الشروط والآداب والأحكام الخاصة برجال الدين، بما يصعب توفرها في

المجتمع الكبير، فكيف بمثل هذه الأقليات؟

ولعلماء دينهم مراتب، يرتقي العالم من مرتبة إلى مرتبة ولها شروط وآداب شاقة،

والمراتب هذه:

1— الحاللي، ويسمونه الشمّاس وهو من تحدّر من صلب عائلة (حلالية) ودرس بعض

الدروس الدينية، فله أن يمارس بعض الأحكام المرتبطة بطبقة العلماء.

2 — الترميدة، وذلك بعد أن استوفى شروط (الحلالي) بالإضافة إلى دراسة كتابين مقدسين هما (سوداوانشمتا) و(انبائي) والتعميد بطريق شاق سبعة أيام يلزم خلالها أن لا يحتلم، ولذا يكون من الضروري أن لا ينام في هذه المدة وإلا فإن نام وأصيب بالاحتلام، لم يحصل على هذه الدرجة، وإذا وصل (الحلالي) إلى هذه الدرجة، جاز له ممارسة بعض الطقوس الدينية التي لم يكن يجوز أن يمارسها (الحلالي).

3 — الكنزيرا، ويشترط فيه أن يكون مطلعاً على كثير من الكتب المقدسة عندهم، ويعمّد تعميداً شاقاً، وأن يكون متزوجاً، وإلى هنا يقف المرقى العملي فليس عند الصابئة اليوم من ارتقى فوق هذه الدرجة.

4 — الأرشمة، وله شروط وآداب أقسى، ولذا ليس لهم عالم الآن وصل إلى هذه الحد.

5 — الرباني، وهذا ما يبلغ عالم الأنوار ويصبح رسولاً إلى أمته، ولم يبلغ هذه المرتبة عندهم أحد إلا يحيى (عليه السلام) ويقولون أنه لا يمكن وجود فردين من هذه المرتبة في وقت واحد، ويقولون أنه بعد يحيى لم يأت من بلغ هذه المرتبة.

15 — الأحكام

إن الأديان الواقعية التي نزلت من السماء، كانت كلها مرتبطة بجميع شؤون الحياة، كما كانت مرتبطة بشؤون عالم الآخرة أيضاً.

وهذا من الفروق الجوهرية بين الأديان والقوانين، فإن الأديان تهتم بالناحيتين، بينما القوانين تهتم بناحية الدنيا فقط .. ولذا كلما سادت الأديان كان البشر في رفاه من الحياة واطمئنان من النفس، حيث تعالج الأديان ناحيتين: الجسم والروح، وكلما سادت القوانين، يعاني

البشر القلق والاضطراب، فضلاً عن اضطراب الحياة المنبعث من قلق النفوس.

ثم أن الأديان الحقّة، التي نزلت بها الشرائع السماوية — باستثناء الإسلام — قد أزيلت من الوجود بحيث لم يبق منها إلا أصول وفروع مهلهلة يكاد يكون بينها وبين ما أنزل، أبعد مما بين السماء والأرض، ولذا لا ترى اليوم في المجوسية واليهودية والنصرانية والبوذية — إن كان لها أصل — إلا بعض الطقوس فقط، أما ما يرتبط بالحياة بمعناها الشامل، فليس له عين ولا أثر إطلاقاً، ولذا لجأ الغرب وغيرهم إلى سن قوانين للحياة، وحصر الدين في الكنائس والمعابد.. أما الإسلام فإنه مربوط بالحياة كلها من أصغر صغائرها إلى أكبر كبائرها.. وهذا هو معنى أن الإسلام دين حي صالح لكل زمان ومكان.

والصابئة — التي نتكلم الآن حولها — من تلك الأديان، التي أكل عليها الدهر وشرب — إن كان لها أصل صحيح — لا تجد لها أحكاماً مربوطة بالحياة، إلا النزر القليل، وفي الفصول الآتية نشير إلى مقتطفات منها مما وجدناه.

16 — التطهير عند الصابئة

الطهارة من أركان دين الصابئة، ويسمى في عرفهم بالتعميد وفائدته أحد الأمور الآتية:

1 — غفران ذنب من ارتكب إثماً، أو أكل لحماً محرماً.

2 — تحليل قسم من الطعام، بتعميد ذلك الطعام.

3 — تطهير الطفل بسببه.

4 — التطهير لأجل الزواج.

5 — التطهير لأجل العيد.

6 — التطهير لأجل الموت.

7 — إلى غير ذلك مما لا نطيل المقام بشرحه.

والتعميد لا يكون إلاّ بالماء الجاري كماء البحر، فالمياه الواقفة غير صالحة للتعميد، وأخيراً أجاز بعض علمائهم التطهير بماء الحنفيات، بحجة أنه متصل بالماء الجاري والتطهير عندهم قسمان:

الأول: الطماتسة، وهي الطهارة بالارتماس في الماء الجاري، وهي واجبة على الحائض والنفساء والجنب، وكذا لمس أحد هؤلاء، أو خرج من سجن أو لدغته حية أو عقرب، أو رجع من سفر أو ساهم في قبر ميت إلى غير هؤلاء... وهذه بمنزلة الغسل عند المسلمين.

الثاني: الرشاقة، وهي الطهارة للصلاة، بمنزلة الوضوء عند المسلمين.

ولكل من هذه المذكورات آداب وخصوصيات ليست من السهولة بمكان، وإن اختلف بعضها عن بعض في مدى الصعوبة.

17 — الصلاة عند الصابئة

من مقدمات الصلاة، الوضوء، وهو هكذا — كما ينقله الحسن:

يشد المتوضئ حزامه، ثم يجلس على النهر متوجهاً نحو الجدي، ويتلو (الرخصة) النية، بلغتهم المندائية فيقول ما معناه: (السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب، الذي يحيى بك كل ما في الأرض) ثم يشرع في الوضوء مبتدئاً بغسل اليدين إلى المرفقين وهو يقول ما محصله: (غسلنا أيدينا المفتوحة بالإيمان، ناطقين بنطق صحيح، وقلب مؤمن بالأنوار) ثم يغسل وجهه ثلاث مرات بأن يقترب الماء من النهر ويصبه عليه، وهو يقول: (تبارك اسمك

وسبحان اسمك ربي الحق، تجري هذا وتكونه من نفسك دون أن يعلم أحد بذلك) ثم يبيل يده في الماء، ويجمع أصابع يده اليمنى، ويمررها على جبهته، من مبدأ صدغه الأيمن، حتى نهاية صدغه الأيسر، وهو يقول ما ترجمته: (رسمت برسم الحياة).

ثم يدخل سبابته في أذنيه ويكرر ذلك ثلاث مرات قائلاً: (أسمع صوت الحياة) ثم يستنشق ثلاثاً ويقول: (أشم رائحة الحياة) ثم يتمضمض مرة واحدة ويقول: من المغمورين بنسيمات الحياة) ثم يأخذ قليلاً من الماء برؤوس أصابعه العشرة، فيدقها على ركبتيه، فساقيه قائلاً: (ركبتي الساجدة إلى رب الحي) ثم على ساقيه مرة ثانية وهو يقول: (رجل ماشية عن شريعة العهد والإيمان) وبعد أن ينتهي من الوضوء يقول ما معناه وترجمته: (رسم عليّ أني لست من عبدة النار، ولا من المختلين ولا من المسيحيين، اسم رسمي بماء الحياة، الجاري في النهر، من عالم الأنوار).

ثم يقذف ما تبقى من الماء برأسي سبابتيه، ثلاث مرات، كأنه يطرد النجاسة عن نفسه، ويقول: (إني فلان بن فلان أتعمد تعمد بهرام الملك الصالح من الملائكة الصالحين، تعمدني وأنظرنني وأصعدني إلى العلا)، ثم يغسل رجليه ويقول: (رجلي أياديهم السبعة والاثنى عشر لا يتسلطون عليّ).

أما الصلاة، فلها أذكار دينية مقدسة — تقوم مقام الأذان عند المسلمين — ووقتها قبل طلوع الشمس، وعند زوال الشمس، وقبل غروبها، ويتوجّه المصلي عندهم إلى (الجي) في القطب الشمالي، بلباس طاهر، حافي القدمين، رافعاً يديه، يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب، ويدعوه بأسمائه الحسنى، ويطلب منه العون والشفاء من الأمراض، ورفع الكوارث عن ملته، وتيسير الاتصال له بعالم الأنوار، هذه هي كيفية صلاتهم الحاضرة.

لكن ابن النديم ذكر لهم كيفية أخرى من الصلاة، ولعل الاختلاف بسبب اختلاف فرقهم.

18 — الصوم عند الصابئة

لا صوم للصابئة في الحال الحاضر، ولكن ابن النديم ينقل: (إنهم يصومون ثلاثين يوماً، أولها لثمان مضين من آذار وتسعة آخر، أولها لتسع بقين من كانون الأول، وسبعة أيام آخر، أولها لثمان مضين من شباط، ولهم صيام آخر، وهو ستة عشر، وسبعة وعشرون يوماً) وعلل ترك الصوم عندهم الآن يرجع إلى سبب سرية دينهم، فإن الغالب أن الأمور السرية يتسرب إليها التغيّر والتبدل، كما هو الشاهد في الباطنية وغيرهم.

19 — أحكام أخرى للصابئة

للصابئة، أحكام خاصة بالحيض والنفاس والزواج والأموات ومحل العبادة والميراث وغيرها. والسنة عندهم ثلاثمائة وستون يوماً، أثنى عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً. وابتداء تاريخهم في ثلاث أوقات:

1 — ابتداء الخلقة وهبوط آدم (عليه السلام).

2 — عام طوفان نوح (عليه السلام).

3 — ولادة يحيى (عليه السلام) الذي كان في سنة ولادة ابن خالته المسيح (عليه السلام)

ولذا تراهم يعتبرون التاريخ الميلادي تاريخاً لهم. كما أن أعيادهم أربعة:

1 — العيد الكبير: ومدته أربعة أيام يبتدأ باليوم السابع من شهر آب من كل سنة مندائية.

2 — العيد الصغير: وهو يوم واحد بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوماً وربما أطالوه

إلى يومين.

3 — عيد الينجة: وهو خمسة أيام بعد العيد الصغير بأربعة أشهر.

4 — عيد يحيى: وهو يوم واحد بعد عيد الينجة بستين يوماً.

ولهم في هذه الأعياد مراسيم خاصة وقد أضربنا عن تفاصيل هذه الأمور خوف التطويل

فمن شاء ذلك فليرجع إلى مظانه.

20 — الختام

لا بد من القول بأن الإسلام حيث كان دين الإله ودين الحقيقة ودين الفطرة أسست أسسه على الحقيقة، فأصول الإسلام مطابقة للواقع وللأدلة العقلية، فإنك لا تجد أصلاً من أصول الإسلام إلا وله دليل عقلي لا يحيد عنه قيد شعرة. وحيث أن الأديان في العالم كثيرة والإنسان يتحمل الضرر الكثير في ترك الأديان كلها، وفي انتخاب بعضها بدون دليل — لاحتمال مخالفة ذلك المنتخب للواقع — كان اللازم على كل ذي شعور أن يتحرى الحقيقة حتى إذا وجدها بالأدلة المقنعة اعتنقها وإلا عرّض نفسه للهلاك الأبدي والعذاب الدائم.

وإني أدعو كل صابئي إلى التحري عن الحق فإن اقتنع بأنه الإسلام دخل فيه، وإلا فعليه تبعه ما اعتقده.. والذي أعتقد أن التحري بكل إخلاص لا بد وأن ينتهي إلى الإذعان بالإسلام، والله المستعان.

هذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب، والله الهادي إلى صوب الصواب.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين،

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

من مصادر الكتاب

- 1 – القرآن الكريم.
- 2 – تفسير مجمع البيان.
- 3 – الموسوعة العربية الميسرة.
- 4 – الصابئون في حاضرهم وماضيهم.
- 5 – المصباح المنير.
- 6 – لسان العرب.
- 7 – الملل والنحل.

الفهرست

الموضوع

- 1 – مقدمة
- 2 – العقيدة الإسلامية
- 3 – من توابع العقيدة الإسلامية
- 4 – الشريعة الإسلامية

5 - الصابئة في اللغة

6 - الصابئة في القرآن الكريم

7 - أقسام الصابئة

8 - تناقص عدد الصابئة لصعوبة مبدأهم

9 - عدد الصابئة وقبائلهم

10 - مظهر الصابئة

11 - كتب الصابئة

12 - المبدأ والمعاد عن الصابئة

13 - الأنبياء عند الصابئة

14 - علماء الصابئة

15 - الأحكام عند الصابئة

16 - التطهير عند الصابئة

17 - الصلاة عند الصابئة

18 - الصوم عند الصابئة

19 - أحكام أخرى للصابئة

20 - الختام

من مصادر الكتاب

الفهرست